دولة الخروف الاسود والخروف الابيض

المرحلة الثالثة

تأريخ العراق الحديث

م.د.ساهرة حسين محمود

في سنة ١٤٠١ ميلادية أنهى تيمورلنك حكم الدولة المنغولية التي اسقطت الإمبراطورية العباسية. لكن تيمورلنك ترك البلدان التي احتلها وعاد الى مسقط رأسه ومملكته في سمرقند مما أدى لشيوع الفوضى في العراق ومرحلة اللا– دولة وهذا ما اتاح الفرصة الذهبية امام إحدى القبائل التركمانية البدوية ان تدخل بغداد وتسيطر على عاصمة الدولة العباسية وتؤسس لدولتها التي اطلقت عليها (دولة الخروف الأسود– قره قوينلو) سنة ١٤١١ ميلادية وحكمت العراق الى سنة ١٤٨٨ عندما احتلت قبيلة تركمانية بدوية أخرى أتت من تركمانستان لتنافس شقيقتها القبلية الأخرى وانتهت بالسيطرة على بغداد واطلقت على دولتها اسم(دولة الخروف الأبيض– آلاق قوينلو)

كلتا الدولتين الخروف الأسود والخروف الأبيض لم تكونا مقبولتين من قبل سكان البلاد والتي استمر حكمهم على ما يناهز المائة عام حتى جاء الشاه إسماعيل الصفوي ليضم العراق الى الإمبراطورية الصفوية في سنة ١٥٠٨ ميلادية وأسقط حكم دولة الخروفين.

أعلاه جزء من تاريخ العراق المظلم الذي لا يتشرف العراقيين به وحتى في السجلات التاريخية نراهم لا يهتمون بهذه الفترة الضعيفة والمتخلفة من تاريخ العراق، لكن مقولة التاريخ يعيد نفسه حقيقة وليس مجرد مقولة قالها أحدهم فدولة الخرفان السوداء والبيضاء عادت وبقوة تحكم العراق بعد ان وجدت الأرضية المناسبة والفرص الذهبية مرة ثانية بمساعدة المحتل الأمريكي والايراني والذي سلمهم العراق على طبقة من ذهب بعد كان البلد يلفظ أنفاسه الأخيرة في ظل حكم دكتاتوري ظالم كان جاثما على صدور العراقيين لأكثر من أربعون عاما.

دولة خرفان العصر الحديث التي استلمت السلطة والحكم في العراق ليس فقط كانت أهدافها السيطرة على ارض ودولة ذات تاريخ عريق بل استخدمت الوسائل التي كانت ولا زلت أكثر خسة من اخواتها دول الخرفان قبل أكثر من ٦٠٠ عام. خرفان العصر الحديث ابتدعوا الطائفية والمذهبية والقومية للسيطرة على رقاب الناس أولا ومن ثم استباحة الدم والمال والأرض وكل ما يمثل كرامة الانسان العراقي.

الخرفان السود والبيض لم يتبجحوا بأنهم حماة الأرض والعرض ولم يرتدوا عباءات الدين والمذهب والقومية. خرفان العصر الحديث اشد عارا من دولة الخرفان القديمة على العراق.

العراق في عهد دولة الخروف الأسود القره قوينلو ١٤١٠-١٤٦٧م .

بإنهيار الحكم الجلائري اصبح العراق جزءاً من دولة تركمانية عرفت في التاريخ بأسم (القره قوينلو) وهم من قبائل الغز التركمانية التي نزحت من تركستان الغربية إلى جهات أذربيجان وسيواس في أواخر القرن الثالث عشر الميلاد التي شاع اسمها (قره قوينلو) لاشتهارها باقتناء (الشياه السود) أو لأنها تحمل شارة(خروف اسود).

استطاع زعيمها (بيرام خواجة) بسط نفوذه على الموصل وسنجار ، بعد موت السلطان الجلائري أويس ، وتمكن الأمير (قره يوسف بن قره محمد حفيد بيرام) الانتصار على جيش احمد الجلائري عام ١٤١٠م قرب تبريز ، ثم استولى ولده شاه محمد على بغداد في العام نفسه .حصل صراع على السلطة في العراق بين (الأمير اسكندر بن قره يوسف) والأمير التيموري (شاه رخ) وبين (اسبان بن قره يوسف) وأخيه (محمد شاه) حول الولاية انتهى بهروب محمد شاه ثم قتل .نجح السلطان جهان شاه في حصار مدينة بغداد وقتل ابنه بيربوداق عام ١٤٦٦م.

اتسمت سنوات حكم القره قوينلو للعراق بشدة الاضطرابات والحروب والخراب مما كان له اسوأ الاثر في الحياة العامة ، وكلفت الحروب الداخلية الى جانب الصراع مع بقايا الدولة التيمورية في ايران جيهان شاه الكثير ، لهذا كتب لدولته المتعثرة المصير نفسه الذي ال اليه الجلائريون على يد القره يوسف .

بدأت القبيلة منذ ١٣٤٠م في شن حملات منظمة ضد بيزنطة كان هدفها الأول السلب. ثم توسع الأمر ليشمل سورية والعراق. تمكنت بعدها من الاستيلاء على منطقة ديار بكر وآمد. كما عقدت الأسرة مصاهرة مع حكام إمارة طرابزون والذين أصبحوا أباطرة بعدها. أول حكامهم كان «قره يولوك عثمان باي» (١٣٨٩-١٤٣٥م) (بالتركية(Kara Yulük Osman Bey : والذي عينه تيمورلنك حاكماً من قبله على ديار بكر وما حولها عام ١٤٠٢م. بعد سنة ١٤٣٥م. بدأ التنافس بين هذه القبيلة وقبيلة الخرفان السود (قره قويونلو) وفقدت الأولى العديد من مناطق نفوذها لصالح الثانية.

بلغت الدولة أوجها في عهد أوزون حسن (الطويل) (١٤٥٣-١٤٧٨م) الذي استطاع القضاء على دولة الخرفان السود بعد هزيمة أميرهم جهانشاه سنة ١٤٦٧، ثم هزيمته لحاكم التيموريين، أبو سعيد ميرزا، في معركة قره باغ عام ١٤٦٩م. قام بعدها بالإستيلاء على بغداد والزحف شرقاً حتى خراسان. أقنعه سفير البنادقة بمهاجمة العثمانيين، فواجههم في أرزنجان عام ١٤٧١م وزحف منتصراً لغاية «أق شهر» الواقعة في محافظة قونية الحالية، إلا أنه هزم أمام محمد الفاتح في معركة أوتلق بلي سنة ١٤٧٣.

عاشت الدولة أفضل فتراتها أثناء حكم حسن أوزون ثم ابنه يعقوب (١٤٧٨–١٤٩٠م) من بعده، بعد سنة ١٤٩٠م بدأ الصراع مع الصفويين الذين استطاعوا أن يُجلوا الخرفان البيض عن تبريز سنة ١٥٠١م. بدأت بعد ذلك مرحلة الانحلال. استقر آخر الحكام في ماردين حتى ١٥٠٧م.